ملامح الصراع الحضاري والثقافي في الخليج العربي .

الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي
كلية الآداب – جامعة الموصل

اهمية الخليج العربي في السياسة الدولية

يشكل الخليج العربي الجناح الشرقي من الوطن العربي ، وهو الأمتداد البحري الكبير الذي يخرج من المحيط الهندي في الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي حيث يصب به شط العرب المكون من نهري دجلة والفرات ، ويكون الساحل الغربي للخليج العربي الذي يمتد من شط العرب في الشمال حتى رأس الحد في الجنوب كلا من العراق والكويت والبحرين والسعودية وقطر والأمارات العربية المتحدة وعمان ، وتتناثر على امتداده الكثير من الجزر العربية .

لقد أكدت المكتشفات الأثارية التي عثر عليها في مناطق مختلفة من الخليج اثار الأنسان العربي الذي عاش على سواحله منذ العصور القديمة ، كما جاء ذكر اقوام عربية مدونة في الألواح السومرية ، وهذا يحملنا على القول بأن العرب هم شعب الخليج منذ العصور القديمة (١) . ولذا فان قيمته الحضارية تكمن في سيادة حضارة متمازجة خلال عصوره التأريخية الطويلة والتي سادت فيه حضارة الجزيرة العربية والحضارة السومرية وحضارة ديلمون والحضارة الأكدية والأمورية ثم الحضارة العربية الاسلامية .

لقد اكتسب الخليج العربي أهمية استثنائية على مر العصور لكونه حلقة الأتصال بين دول العالم القديم ، ولذا فقد قامت على الأراضي الواقعة حوله الصراعات الدولية لكونه يمثل المعبر الرئيسي للتجارة العالمية البرية والبحرية كما تعتبر منطقة الخليج العربي

نقطة التقاء وتوزيع للمواصلات الجوية بين اوروبا وآسيا وافريقيا ، اذ تلتقي فيه جميع الطرق البرية التي تصل جنوب شرق اوربا وشرق البحر المتوسط بالمحيط الهندي وجنوب شرق آسيا ، وبذلك أصبح منطقة التقاء شعوب عديدة ومنطقة تبادل الأفكار والتجارات بين الشرق والغرب . مما أصبح عرضة للمطامع الأجنبية ، وزاد من أهميته الأقتصادية والسياسية اكتشاف موارد نفطية هائلة مما أشعلت روح التنافس بين الطامعين السيطرة عليه واتخاذه مناطق نفوذ منذ القرن السادس عشر (٢) .

فأكدت الولايات المتحدة الأهمية الأستراتيجية للخليج العربي في الصراع الأوربي والدولي . وأوضح السياسي البريطاني ريموند اوشي في كتابه (ملوك الرمال في عمان) أهمية الخليج بالنسبة للاستراتيجية البريطانية بقوله : ان الخليج شريان الحياة الرئيسي بالنسبة لبريطانيا ، فاكتشاف النفط وتقدم الطيران يؤكد حقيقة ذلك ، وسيظل الخليج مسيطراً على استراتيجيتنا فهو يتوسط جميع خطوطنا البحرية والجوية إلى الشرق ، ويحوي الموانيء والمراكز البحرية ومحطات الوقود لاساطيلنا وبواخرنا وطائراتنا ، والدولة التي تستولي على الخليج وساحل عمان تستطيع أن تحكم جزيرة العرب والعراق وايران وافريقيا ، وتستطيع ان تغلق قناة السويس ، وان تقطع خطوط المواصلات الجوية والبحرية إلى الهند وافريقيا ، واذا قامت في الخليج دولة معادية فانها تستطيع أن تدق المسمار الاخير في نعش النفوذ البريطاني بجنوب البحر المتوسط كله (٣) .

ومع احتدام روح الصراع والتنافس الدولي حول الخليج العربي الا أن عرب الخليج حافظوا على دورهم الملاحي والتجاري وساهموا بشكل فعال في نقل التجارات من جنوب شرق آسيا عبر الخليج العربي والعراق إلى الشام واوربا والبحر الأحمر وسواحل افريقيا وقاموا بنفس الوقت في نقل حضارة الخليج العربي إلى شعوب هذه المعمورة فكانوا رسل الثقافة والحضارة لهذه الشعوب .

بدايات التحدي الحضاري والثقافي للخليج العربي :

واجهت الأمة العربية عبر القرون المتعاقبة تحديات فرضها عليها اعداؤها عبر حقب الصراع الحضاري الطويل ، كانت تستهدف هويتها الحضارية وذاتيتها وثرواتها ووطنها ،

لدرجة أن عبر عن ذلك أحد المفكرين العرب بقوله : (نحن امة قد فرض عليها التحدي) (٤) ولكن امتنا صمدت للتحديات وعصمت نفسها من الفناء بالرجوع إلى تراثهـا واكتشاف عوامل القوة والصمود لتواجه بها الأزمات والمخاطر .

ومن قلب الجزيرة العربية وعن طريقها مرت أعظم راية حملها العرب للعالمين وهي راية الأسلام (رسالة السماء) لتوحيد العرب وتحرير الشعوب من الوثنية والالحاد . فالاسلام ظهر والخطر محدق بالجماعة العربية ، الفرس يحتلون مشرقها والبيزنطيون يحتلون مغربها وشمالها ، والاحباش يحتلون جنوب الجزيرة العربية ، والجميع يفرضون الهيمنة والتبعية ويفلت من هذا الخطر قلب الجزيرة العربية فيتوحد خلف رايات الاسلام ، ثم يزحف ليسحق عوامل التفرق والوثنية وليقيم دولة الاسلام وليحرر العرب مـن التبعية والهيمنة ليقودوا العالم نحو التوحيد والوحدة .

اتجاهات الغزو الثقافي والحضاري في العصور الاسلامية الأولى .

كان من اخطر التحديات التي واجهت العرب والمسلمين والتي هددت الاسلام في الصميم هي تلك الحركات الفارسية التي عبر عنها الاسلاميين بحركة (الزندقة) التي حاولت اجتثاث الاسلام من جذوره وتسللوا اليه وشغلهم الشاغل زرع الأباطيل والشكوك وبث الفتن وحبك الدسائس ونشر الأباطيل واقحموا عليه البدع والضلالات .

لقد بدأت الحركة الفكرية والثقافية الفارسية في مهاجمة الفكر والثقافة العربية والاسلامية منذ اواخر العصر الأموي باسم الشعوبية . واندفعت بقوة في العصر العباسي بدافع ديني وعنصري وهي تمثل جانب من محاولة زنادقة الفرس ضرب الدين الاسلامي والسيادة العربية عن طريق الفكرة والعقيدة . والذي ظهر واضحاً في الصراع السياسي والديني ، والثقافي (٥) فعملوا على التقليل من شأن العرب في الاسلام والحط من ثقافتهم التي ازدهرت بالاسلام وقد روج لها بعض من الشعراءوالادباء والكتاب الفرس ممن دانوا بالاسلام ظاهرياً.وكان التحدي الفارسي في اتجاهين . الاول : مساهمتهم بكل ثورة مسلحة اوحركة سياسيـــة تهدف للقضاء على السلطة العربية ، فانضموا الى جانب الخوارج وبعثوا الى عبدالله بـن الزبير يطلبون الدخول في دعوته ، ولما ظهر المختار الثقفي اشترك في ثورته ثلاثين الفـاً منهم . كما انضموا الى ثورة عبد الرحمن بن الاشعث والحارث بن سريح في خراسان (٦) ولما ظهرت الدعوة العباسية انخرطوا فيها وبعد نجاحها اشركهم العباسيون في السلطـة

وراحوا يعملون على تحقيق اهدافهم وغاياتهم فساندوا الحركات السياسية والمجوسية التي ظهرت في بلاد فارس كالمسلمية والسنباذية والراوندية والمقنعية والبابكية ومنها الأفشين والمازيار ، تحقيقاً لطموحاتهم العنصرية والمجوسية فعقدت العناصر الفارسية آمالها بابي مسلم الخراساني ،وعندما شعر الخليفة العباسي المنصور بميوله الفارسية العنصرية والمجوسية قتله فثارت العناصر الفارسية ممن اسلمت ظاهرياً اوبقيت على المجوسية مطالبين بثأره فقام سنباذ مطالباً بثأره واعلن انه سيذهب لهدم الكعبة . واعلن اسحق الترك انه نبي انفذه زرادشت وانه يخرج حتى يقيم الدين لهم (٧) وشرع المقنع لاتباعه جميع ما اتى به مزدك وزرادشت(٨) وأقر المازيار على الافشين انه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا قد اجمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية و (المجوس) (٩) ، وجاء في رسالة من أخي بابك الخرمي الى اخي المازيار بيان كيفية القضاء على العرب حتى يعود الدين الى ما كان عليه أيام العجم (١٠) . فكانت هذه الحركات العنصرية والدينية الايرانية حتى اليوم مدفوعة بالحقد على العرب والاسلام وانها ترمي إلى كيد الاسلام بالمحاربة حتى تقضي عليه .

ولما شعرت العناصر الفارسية بخيبة الامل في النصر على الاسلام بعد ان وجدوا ان الحركات السياسية والعسكرية المسلحة لم تجد نفعاً فالتجأت إلى الهدف الثاني وهو الاسلوب الفكري الثقافي والعقائدي ، الذي سيكون له أثره الفعال في هدم المجتمع العربي الاسلامي وذلك بتحطيم السياج الديني والقيم والفضائل العربية ، بنشر تعاليم فاسدة واباحت المحرمات ونشر الشكوك حول الاسلام واحياء العقائد والعادات المجوسية .

فاتجهت هذه العناصر الفارسية بالهجوم على الاسلام والتشكك في القرآن الكريم ، فالاعاجم الذين يصعب على اكثرهم ان يتفهموا القرآن الكريم ويتدبروه ، قالوا فيه بانه غير منظم ولا مبوب ، وانه محتذى ومنقول ، وانه غير بليغ ولا فصيح وبلغت الوقاحة ببعضهم ان قالوا ان فيه اغلاط نحوية وركاكات بيانية (١١) ، وعمدوا إلى انكار الوحي احياء لعقائدهم المجوسية ، وحاولوا دس احاديث كثيرة فيها تمجيداً لهم كما حاولوا تشويه الفقه الاسلامي عن طريق دس الاحكام الزائفة التي تثير الشكوك وتفسد الاحكام الدينية(١٢)

وكذلك تظاهروا بالمجون والخلاعة لنشر معتقداتهم وارائهم فدعوا إلى الشراب والغلمان والتغزل بالنساء ، واتخذوا من الاندية الادبية مكاناً لهم يسخرون فيها من الديانات والتقاليد العربية ، وعمل بعضهم على بعث التراث المجوسي بترجمته ونشره وكان ابرزهم ابن المقفع الذي ترجم كتب ماني وابن ديصان وترجموه من الفارسية إلى العربية (١٣) والف دعاة الزندقة والشعوبية الكتب الكثيرة في مناقب العجم ومثالب العرب (١٤) .

وحاول هؤلاء الحط من التراث العربي الاسلامي فهاجموا اللغة العربية والتاريخ العربي الاسلامي لانهم يدركون أنهما أساس الثقافة العربية فاتهموها بالعجز في المفردات والالفاظ والتعابير والمعاني ، كما حاولوا تشويه تاريخ العرب ، وابراز صفة الامجاد للتاريخ الفارسي هادفين من ذلك إلى احياء الوعي العنصري الفارسي وتقليل من شأن الثقافة والحضارة العربية الاسلامية (١٥).

وقد اشار الجاحظ إلى سبيلهم في ذلك بقوله : (والناشيء منهم اذا وطيء مقعد الرئاسة روى لبزرجمهر امثاله ولاردشير عهده ولعبد الحميد رسائله ولابن المقفع ادبه وصير كتاب مزدك (متنبي الفرس) معدن علمه ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته. ثم يكون بدءه الطعن على القرآن في تأليفه والقضاء عليه بتناقضه ثم يظهر ظرفه بتكذيب الاخبار وتهجين من نقل الاثار ، فان استرجع احد اصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فتل عند ذكرهم شدقه ولوى عن محاسنهم كشحه ، ثم يقطع ذلك في مجلسه بسياسة اردشير بابكان وتدبير انوشروان واستقامة البلاد لال ساسان ، فان حذر العيون وتفقده المسلمون رجع يذكر السنن إلى المعقول ومحكم القرآن إلى المنسوخ ، هذا هو المشهور من امثالهم والموصوف من اخلاقهم (١٦) .

وتصدى الفقهاء والعلماء والمتكلمين والادباء للرد عليهم ودحض افترآتهم برفق لئلا ينفروهم وكانوا يرمون إلى تأليف القلوب لا إلى تفريقها شأنهم شأن الامم العاقلة التي ترمي الى تكثير سوادها وجمع القلوب على حبها،وقد حاول هذا التيار الهدام بكل ما حمله من ابعاد دينية وثقافية وحضارية للنيل من الاسلام بأسم الاسلام — شأنه في ذلك شأن جميع التيارات الفارسية التي ظهرت حتّى اليوم — كما افرز موقفاً معادياً للعرب المسلمين على طول فترات التاريخ العربي الاسلامي ، فقد ساهموا في دعم الحركات الانفصالية عن الدولة العربية

الاسلامية ، والسعي في تجزئتها وسقوطها في وقت كبت فيه الامة العربية والاسلامية لشراسة اعدائها وتعددهم ، فكان تجزئتها إلى دويلات وسقوطها اخيراً في قبضة الوثنية المغولية ، فانطفأت شعلة حضارية متوهجة شعت بأنوارها على الانسانية حيناً طويلا من الدهر .

لقد تعرضت الثقافة والحضارة العربية والاسلامية إلى ابشع صور التحدي ، مما جعل الوجود العربي والاسلامي في موضع المواجهة ، وتعرض لاخطر المعارك، واقسى التحديات والتيارات ، العامل الاساسي الذي اكسبها الحماية الكاملة والديمومة هو الاسلام الذي استطاع ان يصمد امام صراع الحضارات التي انخذلت وذهب ريحها ولم تستطع الصمود أمام البناء الفكري والحضاري العربي الاسلامي ، بل العكس — في احيان كثيرة — اخضع الاسلام هـذه التيارات لعقائده ولوحدانيته ولسيادته (١٧) . بما يحمله من البساطة والوضوح في شرائعـه ونظمه ، وعنايته بالانسان والجماعات ، وتحقيقه للعدل والمساواة ، وازالة الظلم والاضطهاد، وخلق روح التآخي بين الشعوب الاسلامية .

مظاهر التحديات الثقافية والحضارية للخليج العربي في العصور الحديثة

١ ــ التحديات الأوربية للخليج العربي .

حظي الخليج العربي باهتمام الدول الطامعة منذ ان تعاظمت حركة الأستكشافـات الجغرافية بسبب موضعه على الطرق البحرية التي تربط بين آسيا وافريقيا بواسطة البحر الأحمر والمحيط الهندي .

وبدأت التحديات السياسية للخليج العربي وظهور الأطماع الأجنبية فيه منذ غزو الأسكندر المقدوني له . فقد قام قائد اسطوله ثيارموس سنة ٣٢٤ ق . م استطلاع الجانب الشرقي من الخليج العربي واحتلال جزر مضيق هرمز والسيطرة عليها لما لهذه المنطقة من أهمية استراتيجية (١٨) . وقد تزايدت أهمية الخليج العربي بعد ذلك خلال العصور التأريخية القديمة والوسطى ، وانه حظي باهتمام الدول الأستعمارية منذ مطالع العصور الحديثة نتيجة لزيادة موارد الدول الأوربية التجارية بعد ظهور حركة الأستكشافات

الجغرافية ، فراحت تبحث عن الموارد والمواد الأولية والسيطرة على الطرق المؤدية اليها ، وزادت حدة التنافس بينها اثر انتشار الثورة الصناعية وتطورها ، وتطور وسائل النقل والأنتاج ، والتسابق في استعمار البلدان التي فيها هذه الموارد ، واتخاذها سوقا لتصريف السلع الفائضة وتشغيل الرساميل المتولدة من الصناعة في انتاج مواد الخام ، والقيام بمشاريع في المستعمرات تخدم الصناعة والتجارة الأوروبية . ولقد اندفع الاوروبيون بحماس كبير يجوبون بحار العالم ومحيطاته منذ بداية العصور الحديثة بحثا عن طريق توصلهم إلى الشرق ، فقد نجح البرتغاليون في اقامة امبراطورية واسعة الارجاء في آسيا وافريقيا ، واحكموا سيطرتهم على البحار والممرات المائية ومنها الخليج العربي . ولم يكن الأحتلال البرتغالي للخليج العربي سوى البداية ، ففي القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت هناك دول تتأهب هي الاخرى للاستعمار وتتحفز لمشاركة البرتغاليين في مكاسبهم وهم الأنكليز والفرنسيون والهولنديون والألمان والروس والفرس ، وغيرهم . ولقد كان بامكان العثمانيين الذين ترجع اهتماماتهم بالخليج العربي منذ فتحهم العراق سنة ١٥٣٤م ان يلعبوا دورا مهماً في الخليج ، لولا أنهم منذ اندحارهم امام البرتغاليين في سلسلة المعارك البحرية التي استمرت من اوائل النصف الثاني من القرن السادس عشر (١٩).

وقد اقتفت هولندا اثر البرتقال في سياستها الاستعمارية ، وواصلوا نفوذهم في الخليج العربي الذي بلغ ذروته عام ١٦٤٩م حين حصلوا من السلطان العثماني على ترخيص بالمتاجرة مع الموانيء العربية الخاضعة للسلطان العثماني ،وكان للمطامع البريطانية والايرانية اثره في اضعاف النفوذ الهولندي ، وتبع ذلك قيام الانكليز بتأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٦٠٠م ومن هنا بدأ الاخطبوط البريطاني يمد اصابعه إلى الامارات والمشيخات العربية والعراق .

اما فرنسا فقد دخلت ميدان الاستعمار في الخليج منذ عام ١٦٢٦م وحصلت على نفس الامتيازات الممنوحة للدول الاوربية ،وأنشأوا وكالة تجارية في البصرة تحولت إلى قنصلية عام ١٧٦٥م وكانوا يقومون ببعض النشاطات التبشيرية واعمال البحث والتنقيب عن الاثار في المنطقة (٢٠) .

وأما روسيا فقد سعت إلى خلق نوع من الوفاق مع ايران لايجاد منفذ لها عبر فارس إلى الخليج العربي مستفيدة من معاهدة (كلستان) عام ١٨١٣م التي انتزعت روسيا بموجبها بعض المناطق في شمال ايران ، فكانت روسيا منذ عهد بطرس الاكبر ترسم سياستها للوصول إلى الخليج عبر ايران أو العراق بالحصول على امتياز مد سكة حديد تربط روسيا بالخليج مما اقلقت تلك المحاولات الاوساط البريطانية (٢١) على ان عاملا جديداً ظهر على مسرح الصراع الاستعماري الاوربي في الخليج العربي هو بروز التفوق الالماني الذي اخذ يشق طريقه نحو العراق والخليج العربي ، وقد وجدت بريطانيا وروسيا ان مصالحها تقضي بالاتفاق على تقسيم ايران ، وقد تم ذلك في ايلول عام ١٩٠٧م (٢٢) ولم تظهر روسيا بعد قيام الثورة الاشتراكية فيها ايةرغبة في الحصول على نفوذ لها في الخليج العربي الا في الفترة الواقعة بين ٣٩ ــ ١٩٤١م حين امر مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي في محادثاته السرية مع روبنتروب وزير الخارجية الالمانية ان تكون جميع المناطق إلى الجنوب من باكو في اتجاه الخليج العربي مناطق نفوذ روسية ، ولكن اعلان هتلر الحرب على السوفييت ترك موضوع الخليج العربي واصبح وثيقة تاريخية فقط (٢٣) .

وكانت المانيا قد ركزت اهتمامها على املاك الدولة العثمانية واستطاعت ان تظهر لدى السلطان العثماني بأنها لاتهدف الى تقسيم الامبراطورية العثمانية بل على استعداد لانعاشها اقتصادياً وعسكرياً (٢٤) . وتمكنت من الحصول على امتيازات اقتصادية ومالية وعسكرية وكان اهم ذلك امتياز سكة حديد بغداد ــ برلين ، كما حصلت على امتياز التنقيب عن النفط في ولايتي بغداد والموصل . وتبعها كل من بريطانيا وامريكا . واصبح البحث عن النفط مرحلة جديدة من مراحل التحدي الاقتصادي الاوربي للخليج العربي . والصراع بين الدول الاوربية لاستعماره والحصول على امتيازات التنقيب عن النفط . واتجه الصراع الاوربي منذ اوائل القرن العشرين للسيطر على منابع النفط وليس احتكار التجارة وطرق المواصلات فقط (٢٥) اما الاستعمار الامريكي في الخليج العربي فقد ركز نشاطه منذ عام ١٨٣٣م على عقد اتفاقية مع حاكم مسقط تحت ستار المودة والتجارة ، وعلى ارسال الارساليات التبشيرية الامريكية والحصول على امتيازات نفطية خاصة بها او مشاركة

الشركات العالمية المستغلة للنفط . وقد آثرت امريكا الاتدخل في صراع حاد مكشوف مع بريطانيا . بحيث ان منطقة الخليج العربي ظهرت في اعقاب الحرب العالمية الثانية وكأنها منطقة تقاسم نفوذ بين امريكا وبريطانيا حتى بدأ الامر وكأن امريكا بقاعدتها في الظهران وبمقر قيادتها في البحرين تتولى مهام الدفاع عن القسم الشمالي من الخليج . بينما تتولى بريطانيا مهمة الدفاع عن القسم الجنوبي منه (٢٦) .

وقد انتهج الاستعماريون الاوربيون في سبيل السيطرة على الخليج العربي سياسة بعيدة المدى تعتمد بالاضافة الى الاحتلال المباشر — في بعض مناطق الخليج العربي — اعتماد نوع من الاتفاقيات والمعاهدات لضمان وجودهم في المنطقة . وتنظيم وتشجيع الهجرة ، الاجنبية على نطاق واسع بهدف خلخلة واقعها القومي وعزل المنطقة عن المحيط العربي ومنع تحررها من النفوذ الاجنبي ووحدتها مع الاقطار العربية المجاورة (٢٧) . وابقاء المنطقة على حالة من التجزئة والتخلف الاجتماعي والاقتصادي . ولتمكنها من ضرب الحركات الوطنية والاستقلالية فيه .

٢ — التحديات الفارسية في الخليج العربي .

كان من اهداف الاستراتيجية الفارسية وعبر القرون العديدة والتي حكمت خلالها سلالات الصفويين والزنديين والقاجاريين وآل بهلوي التوسع على حساب العراق ومنطقة الخليج العربي عموماً واعتمدت الانظمة الايرانية سياستها التوسعية على مسألة الحدود مع العراق ومسألة عائدية بعض الجز ر العربية والمناطق في الخليج العربي .

وظلت الانظمة الفارسية المتعاقبة تعتبر العراق ومنطقة الخليج العربي ساحة لنفوذها مستغلة ضعف هذه الاقطار التي كانت خاضعة ولفترة طويلة للاستعمار الاجنبي .

وقد ساند الفرس كافة القوى الاوربية في محاولاتها للتغلغل في اقطار الخليج العربي فتعاونت مع البرتغال في بداية القرن السادس عشر في احتلال هرمز ومسقط وخشم والبحرين ، وفي منتصف القرن السابع عشر تعاونت الاسرة الصفوية الحاكمة في فارس مع الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين ، ومنح الشاه عباس الصفوي امتيازات تجارية

للهولنديين الذين اعانوه في احتلال شط العرب ، وخلال القرن التاسع عشر تعاون الفرس والانجليز عسكرياً من اجل القضاء على قوة عرب القواسم (٢٨) وشجع الشاه رضا بهلوي بريطانيا بعد منحها امتيازات التنقيب عن النفط في ايران بالضغط على العراق من اجل الحصول على تنازلات من الجانب العراقي في شط العرب وتحقق له ذلك بمعاهدة ١٩٣٧م .

وخلال الفترة ١٩٢٩ — ١٩٤١م قام رضا بهلوي بتصفية زعماء الحركة الوطنية العربية في عربستان كما اتخذ سياسة تهجير القبائل العربية في المناطق الساحلية الجنوبية واضطر بعضهم الى اللجوء الى البحرين وقطر . كما عمدت ايران الى اثارة المطامع الايرانية في البحرين في عصبة الامم ، ومارس رضا بهلوي سياسة تشجيع الهجرة الايرانية الى اقطار الخليج العربي وبدعم من الاستعمار الاوربي (٢٩) ، وفي عهد خلفه محمد رضا بهلوي صعد في تجاوزات ايران على العراق وبقية دول الخليج العربي بالتدخل في شؤون العراق الداخلية ومساندته لتمرد الجيب العميل في شمال الوطن والغى معاهدة ١٩٣٧م مطالباً بتنازلات جديدة في العراق بتأثير ودعم من حلف السنتو ، وحاول الشاه ان يصور للامريكان ولحلف السنتو جسامة الخطر السوفياتي المحدق بايران والخليج ولابد من امتلاكه قوة تمكنه لمواجهتهم . وفي الحقيقة اراد الشاه ان تبدو ايران اكبر قوة في الخليج العربي لتكون كلب حراسة للمخططات العسكرية الامريكية في الخليج العربي (٣٠) .

وبدعم من امريكا وحلف السنتو استطاع الشاه ان يبني العديد من القواعد العسكرية الجوية والبرية على طول الحدود العراقية ، وتسليح الجيش الايراني بأحدث الاسلحة ، وعدت قواته البرية بالمرتبة الخامسة في ميدان القوات الضاربة ، وزود بأحدث الطائرات وقطع الاسطول الحربي حيث بلغ ما حصلت عليه ايران عام ١٩٧٤م من الاسلحة ما قيمته(٤) مليارات دولار ، اضافة إلى قيمة ما اشتراه الشاه خلال الفترة من ٧٠ — ١٩٧٧ م من الاسلحة البالغة (١٨) مليار دولار ، عدا ما صرفته ايران سنوياً على تشييد منشآت عسكرية تقدر بـ (١٠) مليارات دولار (٣١) ، هذا عدا ما كانت تشتريه من اسلحة ومعدات من بريطانيا وفرنسا والمانيا واسرائيل .

واستهدف الغرب من ذلك الضغط على العراق واشغاله عن مواجهة التحديات الصهيونية في المنطقة العربية ، هذه الامدادات اعطت لايران فرصة معارضتها لاية سياسة ترمي إلى ايجاد تعاون مع عرب الخليج والاقطار العربية الاخرى ، كما اعطت لها فرصة تأكيد ادعاء ايران في البحرين ، وفي استخدام القوة العسكرية لاحتلال الجزر العربية الثلاث (ابو موسى ، طنب الكبرى وطنب الصغرى) (٣٢) .

وقد عبر الاستاذ الخطيب عن تقديره للاوضاع التي سادت العلاقات الايرانية العراقية بأنها تنتهي لا محالة بالحرب ، واعتقد انها لن تتأخر اكثر من سنتين بين ٧٥ و١٩٧٦م (٣٣)، ولكن سقوط الشاه اوقف هذا المخطط لحين ان تسلم الخميني السلطة في ايران وشرع في تنفيذ جميع مخططات الشاه بأسم الاسلام فكان العدوان الايراني على العراق في٤/٩/١٩٨٠م.

وقد ادركت الولايات المتحدة وبعض من الدول الاوربية خطورة تصرفات الشاه وعدم انسجامها مع مصالحها وحلفائها في منطقة الخليج العربي ، ولذا فقد عقد الرئيس كارتر اجتماعه المشهور (كواديلوب) عام ١٩٧٨م مع زعماء فرنسا وبريطانيا واليابان والمانيا الغربية على ضرورة تغيير الشاه بشخص اكثر ملاءمة لمتطلبات التيارات الجديدة في ايران و ي التيارات القومية العنصرية بثوب ديني (٣٤) . اتسم موقف النظام الجديد في إيران بأنه اخذ وبسرعة مذهلة يثير النزعات العنصرية والطائفية ويوجه الرأي العام الايراني لاهداف توسعية خارجية ـ بأسم تصدير الثورة ـ هي استمرار لنفس النزعة التوسعية التي بنيت عليها السياسة الايرانية الخارجية منذ عهد الساسانيين خاصة باتجاه العراق وبقية دول الخليج العربي ، وقد تناسى هذا النظام المباديء التي تستر وراءها والشعارات الاسلامية التي رفعها ، وهي في الحقيقة غطاء للنوايا التوسعية لايران .فرفضوا الاعتراف بالحقوق الوطنية للعراق التي اقرتها المواثيق الدولية وعدم اعادة الاراضي العراقية كما قاموا بالتجاوز على طول المناطق الحدودية ، واستخدموا مختلف وسائل التحدي لاقلاق الامن داخل القطر ، واثاروا النزعات الطائفية ، وهددوا باحتلال العراق (٣٥) .

وأظهر النظام الجديد نواياه بوضوح عندما صرح بعض زعماء هذا النظام بأن الجزر العربية الثلاث التي اغتصبها الشاه من دولة الامارات العربية المتحدة تبقى في حوزة ايران،

كما انهم يعتبرون دولة الامارات العربية وقطر والبحرين والكويت وحتى بعض مناطق السعودية مناطق نفوذ ايرانية لانها كانت ايرانية اصلا (٣٦) .

ان الاساليب التي مارسها الفرس بعد قيام النظام الايراني الجديد بتشجيع العناصر الايرانية المقيمة في اقطار الخليج العربي للقيام بحركات واعمال اجرامية تهدف اقلاق الامن في المنطقة والقيام بسلسلة من الاغتيالات في البحرين والتي كشف بشكل رسمي ، كما قامت مجموعة من اذناب النظام بسلسلة اعمال تفجير وارهاب في الكويت ، ومحاولاتهم الاجرامية في اختطاف الطائرات لبعض دول الخليج ، وهددوا التجارة العربية والدولية في الخليج بالقيام بقصف ناقلات النفط ففي ١٣ — ٥ — ١٩٨٤ قصفوا الناقلة الكويتية (ام قصبة) وفي ١٤ — ٥ — ١٩٨٤م قصفوا الناقلة الكويتية (بحرة) وفي ١٦ — ٥ — ١٩٨٤م قصفوا ناقلة النفط السعودية ينبع ، وتبع ذلك محاولات اخرى في هذا المجال . وهددوا بسد منفذ الخليج العربي وتوعد الدول العربية الخليجية لموقفها المؤيد للعراق في الحرب ، اضافة إلى ما ترتب على الوجود الايراني غير الرسمي في دول الخليج العربي الى بروز التحدي الثقافي والحضاري في المنطقة ، فقد ساعد وجود عدد كبير من الايرانيين على انتشار اللغة الفارسية واستعمالها بشكل أخذ يهدد اللغة العربية ، كما ان وجودهم ساعد على دخول الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية الفارسية التي لا تنسجم والتقاليد العربية للمنطقة (٣٧) .

ان كشف المخطط الايراني العدواني التوسعي والتصريح به علنا من قبل المسؤولين الايرانيين بات على الانظمة العربية في المنطقة ان تقبل على وحدة او اتحاد عربي خليجي لمواجهة هذه التحديات الرهيبة . ويرى الاستاذ الخطيب (٣٨) ان هذه المسألة هي مهمة جميع المخلصين في المنطقة وان كانت قد دفعت الى ايجاد شيء من التعاون بين اغلب دول الخليج بقيام مجلس التعاون الخليجي وهو باعتقاده نظام اعرج لتغيب العراق ، وهو ، القوة الفعالة الضاربة في شمال الخليج العربي في حال تكتل تعاوني اوسياسي في الخليج العربي لايكتسب له القوة والنجاح بدون العراق ،وان السنوات الماضية من الحرب مع ايران كشفت القدرة العسكرية والبشرية العراقية على مواجهة التحديات الايرانية العدوانية التي تريد ان تكون البديل عن الوجود العسكري البريطاني والامريكي (٣٩) .

فالنظام الايراني في المرحلة الراهنة هو طرف في المخطط ، وهو يريد ان يكون كلا بدلا من جزء في النظرية الاستعمارية والتي تسمى بـ(الفراغ السياسي) في الخليج العربي وقداعلن قادة هذا النظام عن مطامعهم من خلال بيانات حكامهم التي عبر البعض عنها . ان تكون لايران الصوت الاعلى واليد الاقوى (٤٠) .

وان التحديات على اختلاف انماطها وسلوكها تستطيع ان تحقق اهدافها في ظل استمرار التجزئة وفي ظل خلق الخلافات وزرع الشكوك في نفوس الحكام العرب . ولذا بات على الحكام العرب والشعب العربي في الخليج استيعاب الاخطار الجسيمة التي تهدد امن الخليج العربي ولابد من خطوات جادة وتقارب سليم بتوجيه الاتفاقات الثقافية والتربوية والاقتصادية وتوحيد النظم والخطط العسكرية وملء الفراغ السكاني بالعرب ليستطيع ان يصمد في وجه التحديات الخطيرة التي تهدده باستمرار .

التحدي العقدي والفكري (التبشير الديني والثقافي) :

دخل الاستعمار الامريكي الخليج العربي كما المحنا سابقاً بشكل بعثات تبشيرية ، وان التحالف بين الاستعمار والتبشير يعود الى وجود اهداف مشتركة تكمل بعضها البعض . فقد كانت الحركة الاستعمارية والتبشيرية منطلقة من فكرة سياسة دينية مشتركة ولدت نتيجة التطورات الثقافية التي شملت الاحداث السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية ابتداء من الحروب الصليبية وعصر النهضة والاصلاح الديني والاستكشافات الجغرافية والثورة الصناعية الى عصر الاستعمار في القرن التاسع عشر (٤١) .

لذا كان المبشرون والمستعمرون يعملون معاً في ميدان واحد ، وقد وجدت الحركة التبشيرية في الاستعمار الجسر الذي يمكنهم من العبور الى البلاد غير المسيحية . لان الحركة الاستعمارية مهدت للمبشرين الطريق لممارسة نشاطهم كما وفرت الحماية اللازمة لهم وبالمقابل فقد كان المبشرون يقدمون تقارير دقيقة عن الاوضاع السياسية والاجتماعية ، والثقافية والاقتصادية السائدة في مناطقهم لم يكن في مقدور المستعمرين الحصول عليها (٤٣)

وقد عبر بعض الساسة الامريكان عن الفوائد التي حصلت عليها امريكا من المبشرين بقوله : ان المبشرين هم المرآة التي يرى الامريكيون من خلالها الشرق الاوسط (٤٤) .

بدأ نشاط الارساليات التبشيرية الامريكية بشكل خاص في منطقة الخليج العربي في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، وتركز العمل التبشيري بنشاطاته التعليمية والطبية والدينية والسياسية في منظمة بروتستانتية اسمت نفسها « الارسالية العربية ذات الاهداف التبشيرية في الجزيرة والخليج العربي) . وقد وضعت المنظمة التبشيرية خطة عملها ورحلت اولى الارساليات الى المنطقة مبتدئين ببيروت لدراسة اللغة العربية والتعرف على المجتمع العربي ، والاتصال بمن سبقهم من المبشرين ، ولم تكن بيروت غاية المبشرين وانما كانت محطة انتقال ثم رحلوا بعدها الى البصرة ، واسسوا اول مركز لهم أصبح لفترة من الوقت قاعدة لعملهم في منطقة الخليج العربي ، ومن البصرة بدأ نشاط المبشرين في مناطق الخليج ، ففي عام ١٨٨٠م فتحت الارسالية البريطانية مركزاً لها في الموصل (٤٤) ، وفي عام ١٨٩١م فتحت الارسالية الامريكية مركزاً في البصرة ، كما فتحت لها فرعين في البحرين ومسقط ، وافتتح القسيس زويمر عام ١٨٩٧ مدرسة تبشيرية ، وارسل بعثة طبية الى الكويت عام ١٩١٠م (٤٥) . كما فتحوا مراكز ثانوية في مصوع في عمان ، وفي العمارة (ميسان) في جنوب العراق ، وحاولوا العمل في قطر الا أن المحاولة فشلت ، كما قاموا بزيارات عديدة لاجزاء في الجزيرة العربية (٤٦)

وكان نشاطهم في ميدان التعليم والصحة متميزاً فقد أسسوا عدداً من المدارس والمستوصفات في الكويت وفي البحرين عام ١٨٩٢م وفي البصرة عام ١٩١٤م (٤٧) . وقد استطاعت الارساليات التبشيرية ان توجد علاقة تعاون وتفاهم مع بعض الحكام المحليين في منطقة الخليج العربي عن طريق التعاون معهم وتوفير الخدمات الطبية لعائلاتهم وعدم الدخول في النزاعات المحلية وكسب صداقات القوي المتنفذة في المنطقة (٤٨) .

هذا في ميدان العمل الظاهري للمبشرين ، اما الممارسات الخفية التي اتسمت بها حركة التبشير الديني والثقافي آنذاك فهي تشجيع هجرة الاوربيين بصفة خاصة والاجانب بصفة عامة ، والتعاون مع الاقليات واتخاذها ادوات محلية في التعامل ، وفي معظم الاحيان استعدائها ضد السكان الاصليين ، والعمل على تخريب التعليم الوطني ، وتشجيع مدارس الارساليات التبشيرية والاقليات الاجنبية . ومحاربة اللغة العربية وهدم الشخصية القومية

للسكان الاصليين بالهجوم على التاريخ القومي وطمسه وتشويهه ، والهجوم على الاسلام واعتباره شيئاً من الماضي يرتبط بالتخلف العام الذي يعيشه معتنقوه (٤٩) ، وافراغه من محتواه الحقيقي باعتباره عقيدة روحية تنظم الحياة البشرية ، فيها روح وقيم وثورة وعلم وعمل واخلاق وجردوه من مزاياه الجوهرية . ورغم ذلك فقد وجدت الارساليات التبشيرية رسوخ العقيدة الاسلامية عند المسلمين ، وعبروا عن ذلك بقولهم : ان الدين الاسلامي هوالعقبة القائمة في طريق تقدم التبشير (٥٠) .

كما دعا القسيس زويمر — رئيس ارسالية التبشير العربية في البحرين والشرق الأوسط الى مؤتمر عام لجميع ارساليات التبشير البروتستانتيه اجتمع في القاهرة في نيسان — ، أبريل عام ١٩٠٦م واشترك فيه مندوبو الارساليات الانجليزية والهولندية والالمانية والسويدية والدنماركية . وانتخب زويمر رئيساً للمؤتمر . وناقشوا فيه اوضاع المسلمين في بلدان العالم ، واتباع اسلوب العطف الظاهر على تحقيق آمالهم في الاستقلال السياسي والرخاء الاقتصادي . (٥١) .

انالاوضاع السياسية التي سادت منطقة الخليج العربي في اواخر القرن التاسع عشر ، ومطالع القرن العشرين جعل من المبشرين يتكيفون للاوضاع السائدة في المنطقة مما أدى بهم الى تورطهم في نشاطات سياسية انعكس على عملهم وعلاقاتهم بالمواطنين العرب في الخليج العربي ، فقد شهدت المنطقة احداثاً سياسية خطيرة ، فهناك حربين عالميتين وانعكاساتهما وهناك حركات استقلالية في المنطقة . وتأثيرات قضية فلسطين . وتصاعد حركة القومية العربية في اجزاء كبيرة من الوطن العربي ، هذه الاحداث جميعاً جعلت الانسان العربي في الخليج ينظر الى الانساني الاوربي الذي يمارس نشاطات سياسية وتبشيرية على انه معاد له ولامانيه وعقيدته . وفسر النشاط التبشيري — بأنه عمل ذو ، اهداف سياسية متخذاً لنفسه شعار الدين والخدمة الانسانية (٥٢) كذباً ونفاقاً ، ان هـذه الاتجاهات المعادية والتيارات المشبوهة الدخيلة على الشخصية العربية الاسلامية في منطقة الخليج العربي ينبغي كشفها ومقاومتها باسلوب فكري وثقافي حازم لحماية المواطن العربي من تضليلها واباطيلها.

تحديات العمالة الاجنبية وآثارها الثقافية والاجتماعية :

لعب الطغيان البشري الذي عبر عنه بالهجرات الاجنبية الى منطقة الخليج العربي دوراً خطيراً في ترسيخ النفوذ الاجنبي واستخدامه سلاحاً لاخضاع الخليج العربي لسيطرتهم السياسية والعسكرية واستغلالهم الاقتصادي ، واستعمارهم الثقافي والفكري ، وقد شجع الاستعمار البريطاني الهجرة الاجنبية للاستفادة منهم والاعتماد عليهم من خلال تواجدهم في المنطقة وخاصة من الهند ذات الكثافة السكانية العالية . كما شجعت بريطانيا الهجرة الفارسية الى الاقطار العربية الخليجية ، في محاولة لاضعاف الواقع العربي والمقاومة العربية ضد الوجود الاستعماري . كما ان الشركات الاجنبية النفطية وغيرها في الخليج العربي فتحت ابوابها لاستقبال العمال الايرانيين وغيرهم من الاسيويين لرخصها وتوفرها بكميات كبيرة (٥٣) .

فالهجرة الاجنبية خير حاضنة للتهديد السياسي والحضاري والثقافي للمنطقة وتجعلها في موضع التقاء وتعاون مع اقليات وطوائف تعيش ظروفاً تاريخية او ثقافية معينة او تمر بأزمة سياسية خاصة ، وتستخدم هذه الهجرات الاجنبية في عملية زرع مواقع نفوذ ، واتخاذها الادوات المحلية في التعامل معها ، ضد السكان الاصليين ، هذا في المجال السياسي ، واما في المجال الثقافي والاجتماعي فان تعاظم خطرها نتيجة وجود تجمعات غريبة عن السكان ، ومعظمها يعود لمصدر حضاري وثني او ينتمي إلى ديانات غير موحدة ، والخطورة الثانية الاكثر حساسية ، في هذه التجمعات هي انها بدأت تدخل مرافق حياته مؤثرة في الاسرة العربية الخليجية من خلال ادوارها في تربية الطفل وفي الخدمة في المنازل والعمل في الخدمات العامة (٥٤) .

فهي اضافة إلى ما تنقله من امراض وسطها المتخلف صحياً تنقل معها الامراض الثقافية التي يمكن تحديدها في اللغة والعادات والتقاليد والاسس التربوية والاجتماعية ، والاكثر خطورة مؤثراتها اللغوية والعقدية ، فعلى عكس المألوف عالمياً حيث يعتبر المهاجر لغته تبعاً للقطر الذي يهاجر له ، في حين يحتفظ المهاجرون إلى الخليج العربي بلغاتهم وتصبح المسألة معكوسة ، اذ يصبح المواطن هو الذي يغير لغته لتعلم اللغات الوافدة ، والنتائج المترتبة على ذلك عديدة وخطيرة ، واكثرها خطورة ما يتعلق بمستقبل الاسلام ، فالقرآن الكريم نزل

باللغة العربية وهي أبرز وسائل حفظه ، فاذا ما تغيرت لغة الانسان العربي فأي اسلام هذا الذي سيستوعبه المواطن بالترجمة (٥٥) . وتصبح اللغة العربية هي التي تتلقى يومياً الضربات القوية من لدن ابنائها عند التخاطب مع المهاجرين الاجانب خاصة الخدم في المنازل او المربيات او السواق والعمال لدرجة ان العربي يضطر في بعض الاحيان إلى تطويع اللغة العربية لنوع بين العربية والهجينة ليتمكن من التفاهم مع خادم او مربية او عامل آسيوي (٥٦) . في حين كان يفترض باللغة العربية ان تنتشر بين الامة الاسلامية بمجموعاتها المختلفة غير العربية وان تحرص هذه الشعوب الاسلامية على تعلمها واتقانها خاصة التي تعيش في بلدان عربية (٥٧) . وكان من المفروض ان تلزم الدول العربية الخليجية مؤسساتها الاقتصادية والثقافية اجادة اللغة العربية لمن يقوم بالعمل والاقامة في المنطقة وان تعد مدارس رسمية لتعليم اللغة العربية للاجانب الذين يبغون العمل في الخليج ، بينما وجد العكس فقد سمحت الحكومات على فتح مدارس للاقليات الاجنبية هذه الاقليات التي حاولت تغريب التعليم الوطني بتشجيع مدارس الارساليات التبشيرية وانشاء المدارس للاقليات والجاليات الاجنبية المقيمة محاولة منهم لمحاربة اللغة العربية والتاريخ العربي الاسلامي والقيم الاجتماعية العربية الاصيلة بهدف هدم الشخصية القومية لسكان الخليج العربي لتسهل لهم الهجوم على اعظم مكونات الفكر الثقافي والعقائدي وهو الاسلام ساعين إلى ربطه بالتخلف العام الذي تعيشه المنطقة وافراغه من محتواه الحقيقي باعتباره عقيدة روحية تنظم الحياة البشرية للعرب وللمسلمين جميعاً (٥٨) ، ومنذ ظهور النفط في اقطار الخليج العربي في اواسط هذا القرن ابتلعت المشاريع والشركات والأسواق والمحلات والمنازل مئات الالاف من الاجانب الوافدين وبمرور الزمن اصبحت الجاليات الاجنبية كالايرانية مثلا تزيد في بعض الاقطار المذكورة على عدد ابنائه العرب الاصليين ، حتى وصل الامر في بعضها ان الزائر العربي يجد صعوبة عند وصوله لبعضها في التفاهم بلغته العربية ، وان بعض هذه الجاليات باسناد من حكوماتها حصلت على جنسية اقطار الخليج العربي مما مكنها من أن تتبوأ مراكز اقتصادية واجتماعية وسياسية هامة فضلا عن انها اصبحت مراكز استقطاب للقادمين من بلدانها الاصلية تمدها بالمساعدة وتوفر لها فرص العمل والسكن والاقامة (٥٩) .

وتشير احصائيات عام ١٩٧٥م ان العمالة الاسيوية في بعض دول الخليج العربي عدا العراق بلغت في الامارات ٨١٪ ، وفي عمان ٨٧٪ ، وفي قطر ٦٦,٣٪ ،وفي السعودية ٧٣,٤٪،وفي الكويت٧١٪،في البحرين ٣٨٪،(٦٠)،وهي في ازدياد مستمر .

فقد اشار (كارل شيلر) وزير المالية والاقتصاد الالماني الغربي السابق ، وهو من المعنيين في مثل هذه الدراسات في تقريره الذي وضعه عن المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٧م انه يتوقع عام ١٩٨٥م سيكون هناك شخص اجنبي مقابل كل اثنين من مواطنيه الاصليين (٦١) .

ويؤكد الكثير من الباحثين ان هذه الهجرة في جانب كبير منها عبارة عن هجرة منظمة وتقف من ورائها العديد من الجهات الدولية والمحلية . ويؤكد هذه الحقيقة أحد الأقتصاديين العرب (٦٢) فيقول : يلاحظ من الظواهر المصاحبة ان هناك تهجير مقصود لادخال العمالة الاسيوية الى المنطقة اضافة الى ان بعض هذه العمالة تدخل بطرق غير مشروعة كما ان بعض هؤلاء العمال هم من العسكريين السابقين او ممن هم في العسكرية او من المحكوم عليهم بعقوبات معينة . ويتفق معهم على قضاء العقوبة مقابل اجور رمزية .

ويشير هؤلاء الباحثين الى ان الكوريين الجنوبيين يعتبرون بمثابة جيش احتياطي داخلي بيد الحكومة الامريكية في الخليج العربي حيث انهم من التنظيم والفاعلية والعنف بحيث يصح الرأي القائل انهم عناصر عسكرية صرفة في جيش كوريا الجنوبية ارسلت كمهنيين وفنيين وعمال بناء وغيرهم . اضافة الى هذه القوة الكورية يوجد هناك اكثر من (٤٠) الف من العمالة الفلبينية وحدهم في السعودية ينتشرون في قطاعات العمل المختلفة (٦٣) ان ارتفاع نسبة السكان غير الوطنيين من غير العرب وتفوق نسبتهم في بعض اقطار الخليج العربي عن نسبة السكان الوطنيين امر يشكل تهديداً سياسياً واجتماعياً واقتصاديا وثقافياً وحضارياً . فقد بلغت نسبة المهاجرين الاجانب من غير العرب حسب احصاء ١٩٧٥م .
في الكويت (١٠٣٥٦٢) منهم (٤٠ ٨٤٢) ايراني . وعدد (١٠٥ ٣٢) هندي ، و(٢٣٠١٦) باكستاني ،وفي البحرين بلغ عدد المهاجرين الاجانب حسب احصاء ١٩٧١م، (٤٨٧ ٣) ايراني و (٣٢٦ ٣) باكستاني ، وفي قطر بلغ عدد المهاجرين الاجانب

(١٤٢٠٥٢) .وفي دولة الامارات العربية المتحدة حسب احصاء ١٩٧٧م بلغ عددهم (٩٣) الف اجنبي يتمتع الايرانيون بأعلى نسبة منهم، وفي عمان حوالي (٥٠) الف اجنبي يشكل الايرانيون نسبة كبيرة منهم ، وفي السعودية حسب احصاء ١٩٧٥ م يشكل الاجانب حوالي (٢٥,٩٪) من السكان وهم بازدياد مستمر في الخليج (٦٤) .

من خلال هذه الاحصائيات ظهر ان اعلى نسبة من بين المهاجرين الاجانب هم الفرس ويأتي الهنود والباكستانيين بالمرتبة الثانية ثم الكوريين والفلبينيين والتايلانديين . واذا كان الوافدون قد وصلوا الى هذه الدول كقوة عاملة مؤقتة فانهم أخذوا يتحولون الى شريحة سكانية بسبب الاقامة الطويلة للعمال الوافدين وطموحهم لنيل وضع المواطنة او مايشبه المواطنة او التمتع ببعض الحقوق الاساسية للمواطنين للحصول على مكاسب ذاتية كبيرة فيما يخص الاقامة والتملك وممارسة النشاط الاقتصادي لتتمكن من ان تلعب دورها في التأثير على الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي بحرية اكثر .

وظهر على مسرح الاحداث في الخليج العربي ان اخطر الهجرات الاجنبية الى الخليج العربي هي الهجرات الفارسية . فمنذ القدم وايران تقذف بالمتسللين الى الخليج العربي خاصة في اوقات الأزمات السياسية والاقتصادية ، وحاولت الاستفادة من هذا الوجود البشري عندما طالبت باجراء استفتاء في البحرين ، وعندما جاء النظام الجديد في ايران اوجد وضعاً ايرانياً اثار مزيداً من القلق ، فأخذ هؤلاء الحكام يحركون مطامعهم الاقليمية في الخليج العربي خلال تصريحاتهم وتهديداتهم المستمرة ومن ثم محاولاتهم لتصدير الثورة الى اقطار الخليج العربي من خلال اشعال الفتن والاضطرابات فيها لاقلاق امن الخليج وبالتالي السيطرة عليه ،تلك الاوضاع اغرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي الى احياء فكرة التدخل في المنطقة ضمن محاولاتهم السيطرة على منابع النفط وممراته المائية (٦٥).

واذا تركنا المخاطر السياسية التي تشكلها الهجرة الاجنبية جانباً . فهناك العديد من المخاطر الاخرى التي لاتقل اهمية عن ذلك مثل المخاطر الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وغير ذلك .

ففي المجال الثقافي نجد ان الاعداد الكبيرة من العمالة الاجنبية تؤثر بصورة مباشرة على ثقافة المجتمع الخليجي من خلال ثقافاتها المتعددة وعلاقاتها الاجتماعية المتباينة وأخطر ذلك على اللغة العربية والتي هي اداة لحفظ وتوصيل الثقافة العربية بالاسلام ، وان اي خلل في استخدام اللغة يعني اهتزازاً في الادراك والوعي اوفي مجمل التكوين الروحي والثقافي فهي عنصر مهم في الثقافة الاسلامية عامة لانها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه والاحكام الاسلامية . ومن هذا المنظور فانه يفترض ان تنتشر اللغة العربية بين الجاليات الاسلامية التي تعيش في البلدان العربية (٦٦) .

وفي المجال الاقتصادي نجد انه رغم تحقيق بعض المكاسب الاقتصادية من توافد ايدي عاملة اجنبية رخيصة الاأن ذلك يترك تأثيرات سلبية في عدد من الميادين الاقتصادية من بينها التأثير السلبي في المستوى النوعي والفني والمهني والاقتصادي للعمالة الوطنية بسبب استمرار حالة الاتكال والتبعية للعمالة الاجنبية بالاضافة الى استنزاف الموارد المالية بما يرسله المهاجرون من الاموال الى بلدانهم والتي تقدر بـ (١٠) مليارات دولار سنوياً .

واما الأخطار الاجتماعية الناجمة عن الهجرة الاجنبية لاتقل جسامة عن الأخطار السابقة لاسيما وان المهاجرين يفدون من مصادر قومية متنوعة وبمستويات حضارية متفاوتة لأسباب ودوافع متعددة . ولعل من ابرز النتائج السلبية التي تترتب على مثل هذه الهجرة الاجتماعية ارتفاع نسبة حالات العزوبية بين المهاجرين التي تقود الى نتائج اجتماعية سلوكية شديدة الضرر في مجتمع يتمسك بقيمه الدينية وتقاليده العربية ، اضافة الى تعدد اللهجات واللغات التي يتفاهم بها الافراد سواء في حياتهم اليومية اوفي اثناء تأديتهم العمل مما يولد لدى الناس شعور بالغربة ويتسبب في اضعاف الانتماء الوطني والقومي . فضلا عن ان تفاقم هذه الظاهرة قاد الى نتائج ضارة تمثلت بشكل خاص في صعوبات التكيف الاجتماعي والنفسي والحضاري مما يفسر ارتفاع معدلات الجرائم والأنحرافات السلوكية(٦٧)

فقد بلغ عدد الجرائم التي ارتكبها هؤلاء الاجانب في دولة الامارات العربية المتحدة عام ١٩٧٧م (٣٨٥٨) من اصل (٤٩٤٨) اي بنسبة (٧٨٪) تقريباً وفي البحرين كانت جرائم الاسيويين (٦٦٪) . (٦٨) .

ومن التحديات الخطيرة المتأتية من الهجرة الاجنبية (الخادمات والمربيات والسائقين) والتي دخلت مرافق حياتية مؤثرة (في الاسرة العربية الخليجية) من خلال ادوارها في تربية الطفل وفي الخدمة في المنازل والعمل في الخدمات العامة ، مما يشكل خطر مباشراً على الاطفال وعلى لغتهم العربية للذين دون سن المدرسة كما يؤثر مستقبلا على نطقهم وذلك لانهم يعيشون ازدواجية لغوية ليست امتدادا للغة العربية . كما ينعكس على اسلوب التعبير والتفكير عند الاطفال .

اضافة إلى ان وجود المربيات والخادمات الاجنبيات يؤثر في وظائف الاسرةوبخاصة على وظائفها الخلقية والدينية والتربوية وبالتالي ينعكس على التنشئة الاجتماعية والثقافية للفرد العربي الخليجي ،فقد كان أهم وظائف الاسرة هي تربية الفرد ، ففيها يكون مولد شخصيته واساس نموه وقيمه وافكاره وانتماءاته القومية ، ويكتسب كثيراً من خصاله عبر اسرته .

ان وجود نموذج قيمي وثقافي وسلوكي يعرض امام الطفل من خلال المربيات بجانب محاكاة الاطفال وتقليدهم لمن يجلس معهم اكثر ويهتم برعايتهم يتيح سياقاً يفضي إلى اختلاط قيم الطفل وتوجهاته وانماطه السلوكية ويوقعه في مآزق وصراعات قيمية تؤثر في الطفل وتوجيهاته (٦٩). كما ان وجود المربيات الاجنبيات يمكن أن يهيء المجال لممارسات جنسية غير مشروعة مع الاطفال ، او مع افراد آخرين في الاسرة ،مما له اثاره السلبية في تكوين الشباب وفي التيار الاجتماعي لمجتمع الخليج (٧٠) .

ويعلق احد المربين على ذلك بقوله :فاذا وضعنا بدل الام والاب مربية ومربي ماذا تكون صياغة طفلنا الخليجي العربي المسلم عام ١٤٢٠هـ ،وهو يعيش في ظل صراعات نفسية نشأت من نموذج ثقافي مرة هندي واخرى فلبيني وثالثة سريلانكي وهكذا من عشرة او خمسة عشر جنسية اخرى ، كيف سيتفاهم هؤلاء الاطفال اذا اجتمعوا بعد عشرين عاماً في حرم جامعة الخليج العربي (٧١) .

وكان من نتائج البحوث الميدانية على المربيات والخادمات في بعض دول الخليج ان (٦,٢٪) يستطعن التحدث باللغة العربية ،وان اللغات الاجنبية الاكثر شيوعاً لدى المربيات

هي الانجليزية، لما لذلك من تأثير خطير على الطفل خاصة في المراحل الاولى الست ومرحلة الطفولة المتوسطة والمتقدمة ٦ — ١٢سنة وهما مرحلة حيوية وخطيرة وأداة رئيسية للاتصال ونقل ثقافة الوالدين خاصة مرحلة الطفولة المبكرة التي تمتاز بكونها فترة نمو لغوي سريع تحصيلاً وتعبيراً وفهماً لدى الطفل ، فماذا يتعلم الطفل في هذه المرحلة اذا كانت المربية لا تعرف او لا تتقن اللغة العربية (٧٢) .

وقد اظهرت نتائج الدراسات الميدانية ان قرابة (٢٥٪)من الاطفال في المرحلة الأولى يقلدون المربيات في اللهجة والسلوك ، وان اكثر من (٤٠٪) منهم تشوب لغتهم لكنة اعجمية (٧٣)، اضافة إلى ما تنقله هذه المربية من الامراض الخبيثة التي لا يسهل الاستدلال عليها الفحص الطبي العادي ، بسبب عادة تقبيل المربيات للصغار والنوم معهم في غرفهم.

وتدل النتائج البحثية على ان حوالي (٦٠٪) — (٧٠٪) من المربيات غير مسلمات ، وفيهن نسبة كبيرة تنتمي الى ديانات غير سماوية تعبد الاوثان وتقدس الابقار ، كما ، اوضحت الدراسات ايضاً أن نسبة (٩٧,٥٪) من الخادمات والمربيات الاجنبيات يمارسن واجباتهن الدينية طبقا لعقائدهن المسيحية او البوذية او الهندوكية (٧٤) . وهؤلاء قدوة خطيرة امام النشيء العربي المسلم . بسبب صلتها الوثيقة بالطفل وينعكس سلوكها هذا على الطفل فيما يخص اداء الشعائر الدينية .

والذي يدعو الى القلق ان (٦٨,٣٪) من المربيات الاجنبيات تقل اعمارهن عن عشرين عاما وليست لهن تجربة اودراية بتربية الاطفال اوادارة المنزل ، وان (٤٢,٤٪) منهـــن لم يسبق لهن الزواج وبالتالي لم يسبق لهن تربية الاطفال ، اضافة الى ان نسبة كبيرة منهـــن جاهلات اسيرات الخرافات والاساطير والافكار الخاطئة والنزعات البيئية التي تتعارض مع العقيدة الاسلامية (٧٥) .

اضافة الى ذلك ان الدراسات اشارت الى ان (٤,٣٪) من المربيات ابدين رأيهن صراحة بأنهم يشربن الخمر ، وحوالي (٧,٢٪) منهن يدخن . كما افادت (٤,٣٪) من الخادمات بأن التدخين وشرب الخمر مسموح به للاطفال في بلادهن (٧٦) .

من ذلك كله يظهر مدى ما قد يتعرض له الطفل من متناقضات سلوكية يتلقاها مباشرة تارة من والديه واخرى من المربية .

ان تعدد ثقافات العمالة الأجنبية جعلت المواطن العربي الخليجي اكثر تقبلا للانماط المختلفة من الثقافات مما سيفقده تدريجياً تمسكه بالاصالة والهوية الثقافية المميزة للعربي المسلم خاصة ان بعض فئات هذه العمالة اصبحت اكثر استقراراً داخل مجتمع الخليج العربي مما سيجعلها تمثل تجمعات ثقافية داخل جسم مجتمعنا وسيكون لهم حقوق يفرضونها على المجتمع وليس بتجربة ماليزيا اوفيجي اوجزر الكاريبي ببعيدة عن الذاكرة واقربها الادعاءات الايرانية في بعض جزر ومناطق الخليج العربي ، ان البدائل لهذا الخطر الداهم التي يمكن تقليله اوتمنع استفحاله . هي التخلص من العمالة الاجنبية (العمال والمربيات) والاعتماد على النفس . وذلك ببناء الانسان العربي في الخليج وتوجيهه واستغلال قابلياته وطاقاته من خلال توعية وتربية وتعليم الفرد العربي الخليجي على اخلاقيات العمل وايجاد المدارس والمعاهد المهنية والحرفية المناسبة لمتطلبات الايدي العاملة الاقتصادية واستبدال العمالة الاجنبية بعمالة عربية مسلمة والتي بامكانها الاندماج والتفاعل مع المجتمع الخليجي بسبب وحدة اللغة والدين والثقافة المشتركة والعادات والتقاليد والتداخل في مجريات حياتهم العامة خاصة في الاقطار التي تعاني من ضيق سكاني واقتصادي ، للحفاظ على الهوية القومية والنقاء الثقافي العربي الاسلامي .

هوامش البحث

(١) منذر البكر ، صور من المقاومة العربية للاطماع الاجنبية الخليج العربي ، بحث القي في المؤتمر الدولي للتاريخ ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص٣ .

(٢) اليوزبكي ، الملامح العامة للمطامع الاستعمارية في الخليج العربي في القرنين السادس عشر والعشرين ، مجلة أداب الرافدين ، العدد الثامن ، ١٠ آب ١٩٧٧ ، جامعة الموصل

(٣) سيد نوفل ، الخليج العربي ، ص٤٩ .

(٤) محمد عمارة ، العرب والتحدي ، انظر الملحق الاسبوعي لجريدة الرياض ، ١٤ محرم ، ١٤٠٤هـ العدد ٥٥٩٨ .

(٥) الدوري ، الجذور التاريخية للشعوبية . ص٩ دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٩ .

(٦) اليوزبكي ، تاريخ اهل الذمة في العراق ، ص٢٢٤ . نشر مكتبة دار العلوم ، الرياض ١٤٠٣هـ .

(٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٨٣ ، نشر مكتبة خياط ، بيروت .

(٨) البيروني ، الأثار الباقية عن القرون الخالية ، ص٧١١ ، مطبعة لايبزك . ١٩٢٢

(١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٢٠٦ ، ليدن مطبعة بريل ١٩٦٥ .

(١٠) المسعودي ، مروج الذهب ، ص٢٩٢ ، دار الرجا ، القاهرة .

(١١) كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ص٦٩ ، ممطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٠ ، القاهرة .

(١٢) العدوي ، المجتمع العربي ومناقضته للشعوبية ، ص ١٩٥ . نشر مكتبة النهضة العربية ١٩٦١

(١٣) الليثي ، الزندقة والشعوبية ، ص١٨٢ .

(١٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ص٢٩٣ ، دارالرجا ، القاهرة

(١٥) انظر الفهرست لابن النديم ، ص١٢٠ وما بعد . سلسلة روائع التراث العربي ، نشر مكتبة خياط ، بيروت .

(١٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٣ ، ص١٤ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، نشر مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٠ .

(١٧) فيصل حسون ، التحديات الحضارية المعاصرة للامة الاسلامية ، ص٣١٢ ، بحث الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، الرياض ، ١٣٩٩هـ .

(١٨) بدرالدين الخصوص ، الخليج العربي والمطامع الاستعمارية ، ص٢

(١٩) طه ، الصراع على الخليج ، ص ٥٣

(٢٠) لوريمر ، دليل الخليج ، ج١ ، ص٢٦٧

(٢١) الجنابي ، من تاريخ الخليج العربي ، ص١٩ .

(٢٢) العقاد ، التيارات السياسية في الخليج ، ص٢٣٥ .

(٢٣) محمود علي الداود ، الخليج العربي والعلاقات الدولية ، ص١٥٠

(٢٤) نفس المصدر السابق . ص١٦٥ .

(٢٥) طه ، الصراع على الخليج . ص١٠٠

(٢٦) العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص٢٣٠ .

(٢٧) سيد نوفل ، الخليج العربي ، ص ٨٨ — ٩٦

(٢٨) محمود علي الداود ، انعكاسات الحرب العراقية الايرانية على مستقبل الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي ، ص٢ ، بحث القي في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بغداد

(٢٩) نفس المصدر السابق ص ٤

(٣٠) أدموند رونر . من يهدد منطقة الخليج العربي ، ص ٦٤ ، نشر مركز الدراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٣

(٣١) نفس المصدر السابق . ص٦١ .

(٣٢) محمود علي الداود ، انعكاسات الحرب العراقية الايرانية على مستقبل الاهمية الاستراتيجية الخليج العربي ، ص ٥ — ٦

(٣٣) احمد الخطيب ، الابعاد السياسية ومؤتمراتها في منطقة الخليج العربي خلال العقد القادم ، ص٤٢٧ .

(٣٤) الداود ، انعكاسات الحرب العراقية الايرانية ، ص٧ .

(٣٥) الداود ، انعكاسات الحرب العراقية الايرانية ، ص٨ .

(٣٦) نفس المصدر السابق ، ص١٠

(٣٧) عبد العزيز الصرعاوي ، منطقة الخليج العربي في مواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلة ص ٧٢ ، بحث القي في ندوة الخليج العربي في مواجهة التحديات ، مجلة الموسمين ، الثقافيين ٧٤و ١٩٧٥ ، الكويت .

(٣٨) احمد الخطيب ، الابعاد السياسية ومؤثراتها في تطور الخليج العربي خلال العقد القادم ص ٤٢٧ ، محاضرات في الموسم الثقافي ، الكويت

(٣٩) عبدالله النيباوي ، عرب الخليج في مواجهة التحديات الايرانية ص ٢٦٣ ، محاضرات في الموسم الثقافي ، الكويت

(٤٠) احمد زين السقاف ، نظرة مستقبلية لتقارب ووحدة دول الخليج العربي ص ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، محاضرة في ندوة الخليج العربي في مواجهة التحديات ، الكويت .

(٤١) سيد نوفل ، الخليج العربي ، ص٨٨ – ٩٦ .

(٤٢) عبد المالك التميمي ، النشاط السياسي للمبشرين في منطقة الخليج العربي ، بحث بمجلة دراسات الخليج العربي ، ص ١٠٤ ، العدد العشرون ، البصرة .

(٤٣) المصدر السابق ، ص١١٤

(٤٤) لوريمر ، الخليج / القسم التاريخي ، ج٦ ، ص ٣٤٥٦ – ٣٤٤٥ .

(٤٥) نفس المصدر السابق ج٦ ، ص٣٤٣٩ .

(٤٦) التميمي ، النشاط السياسي للمبشرين ، ص ١٠٣ .

(٤٧) لوريمر ، الخليج ، القسم التاريخ ، ج٦ ، ص٣٤٤٢ .

(٤٨) التميمي ، النشاط السياسي للمبشرين ، ص ١١٣ .

(٤٩) نزار الحديثي ، اتجاهات الغزو الثقافي في الخليج العربي والموقف المطلوب ، بحث القي بندوة ماذا يريد التربويون من الاعلاميين ، ج٣ ، ص٣٦ .

(٥٠) شاتلية ، الغارة على العالم الاسلامي ، ص١٣ ، طبع مكتبة اسامة بن زيد . بيروت

(٥١) شاتلية ، الغارة على العالم الاسلامي ، ص١٤ .

(٥٢) التميمي النشاط السياسي للمبشرين ، ص١١٣ .

(٥٣) التميمي ، الأثار السياسية للهجرة الأجنبية ، بحث بمجلة المستقبل العربي ، العدد (٥٠) لسنة ١٩٨٣ .

(٥٤) نزار الحديثي ، اتجاهات الغزو الثقافي في الخليج العربي ، بحث بمجلة رسالة الخليج العربي ، العدد السابع ، لسنة ١٤٠٣هـ .

(٥٥) نفس المصدر السابق ، ص٣ .

(٥٦) نادر فرجاني ، اوضاع السكان وقوة العمل في دولة الامارات ، ص ٢٩٠ ، بحث في الندوة الفكريةالتي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ١٩٨١ م .

(٥٧) حيدر ابراهيم علي ، اثار العمالة الاجنبية على الثقافة العربية ، بحث بمجلة المستقبل العربي العدد (٥٠) لسنة ١٩٨٣ م .

(٥٨) نزار الحديثي ، اتجاهات الغزو الثقافي ، ص٢

(٥٩) بدر غيلان ، تحديات العمالة الاجنبية في اقطار الخليج العربي ، بحث بمجلة آفاق عربية العدد الخامس ، السنة السابعة ، ١٩٨٥ م .

(٦٠) ادموند رونر ، من يهدد منطقة الخليج العربي ، نشر مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٣م .

(٦١) نقلا عن جريدة السفير اللبنانية الصادرة في ١٩٨٠/٨/٢٥ .

(٦٢) عبدالباسط عبدالمعطي ، المصاحبات الاجتماعية للعمالة الاسيوية .

(٦٣) بدر غيلان ، تحديات العمالة الاجنبية ، ص٣٩ . عادل محمد خضر ، الصراع الدولي في الخليج العربي ، ص ٣٣٦ ، المجلد الثاني من بحوث ندوة مستقبل الخليج العربي نشر مركز دراسات الخليج ، جامعة البصرة ، ١٩٨١ .

(٦٤) انظر ، الكتاب السنوي الاول لسنة ١٩٧٨ ، مجلة مركز دراسات الخليج العربي، العدد (٥٥) لسنة ١٩٨١ م .

(٦٥) عادل خضر ، الصراع الدولي في الخليج العربي ، ص٣٤٠ .

(٦٦) حيدر ابراهيم ، اثار العمالة الاجنبية على الثقافة العربية ، بحث بمجلة المستقبل العربي العدد (٥٠) السنة ١٩٨٣ .

(٦٧) بدر غيلاني ، تحديات العمالة الاجنبية ، ص٤٠

(٦٨) تعقيبات صحفية بمجلة اليمامة السعودية اجراها المشرف العام على المجلة مع رئيس هيئة تحرير مجلة رسالة الخليج العربي تحت عنوان (كيف سيكون طفلنا الخليجي عام ١٤٢٠هـ)

(٦٩) عبد الباسط عبدالمعطي ، في التكلفة الاجتماعية للعمالة الاسيوية في الخليج العربي ، بحث بمجلة المستقبل العربي ، العدد (٣٧) لسنة ١٩٨٢م .

(٧٠) دراسة اثر المربيات الاجنبيات على الاسرة العربية في منطقة الخليج العربي ، ص٧ ، مقدمة من مكتب التربية العربي لدول الخليج للدورة الخامسة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول الخليج العربي .

(٧١) مقتطف من حديث الدكتور علي التويجري نائب المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج أجراه المشرف العام على مجلة اليمامة السعودية .

(٧٢) حيدر ابراهيم . اثار العمالة الاجنبية على الثقافة العربية ، ص١١ . الكويت ، ١٩٨٣م المعهد العربي للتخطيط .

(٧٣) دراسة اثر المربيات الاجنبيات على خصائص الاسرة العمانية . المديرية العامة للشؤون الاجتماعية ، عمان ١٩٨٤م .

(٧٤) انظر الدراسة التي قام بها قسم التخطيط والبحوث بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، البحرين ، ١٩٨٣م .

(٧٥) الاثار التربوية والثقافية لظاهرة استخدام المربيات الاجنبيات ، دراسة اعدها مكتب التربية العربي لدول الخليج للامانة العامة لمجلس العمل والشؤون الاجتماعية بدول الخليج العربية .

(٧٦) اثر العمالة الاجنبية على الاسرة السعودية . مجلس القوى العاملة السعودية .